(سورة القلم)

{ ن وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } { مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ }

{ وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ } { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }

{ ن } هو النفس الكليّة { والقلم } هو العقل الكلي والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها، والثاني من باب التشبيه إذ تنتقش في النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور في اللوح بالقلم

{ وما يَسْطرون } من صور الأشياء وماهياتها وأحوالها المقدّرة على ما يقع عليها، وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والأرواح القدّسة وإن كان الكاتب في الحقيقة هو الله تعالى، لكن لما كان في حضرة الأسماء نسب إليها مجازاً، أقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادىء الوجود وصور التقدير الإلهي ومبدأ أمره ومخزن غيبه لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود في أول مرتبة التأثير والتأثر ومناسبتهما للمقسم عليه { ما أنت بنعمة ربّك بمجنون } أي: ما أنت بمستور العقل مختلّ الإدراك في حالة كونك منعماً عليك بنعمة الاطلاع على هذا المسطور بهما فإنه لا أعقل ممن اطلع على سرّ القدر وأحاط بحقائق الأشياء في نفس الأمر

{ وإنّ لك لأجراً } من أنوار المشاهدات والمكاشفات من هذين العالمين { غير } مقطوع لكونه سرمدياً غير مادي فلا يتناهى وهم مادّيون محجوبون عنه، متضادّون إياك في الحال والوجة، فلهذا ينسبونك إلى الجنون لانحصار عقولهم وأفكارهم في المادّيات.

{ وإنك لعلى خلق عظيم } لكونك متخلقاً بأخلاق الله متأيداً بالتأييد القدسي فلا تتأثر بمفترياتهم ولا تتأذى بمؤذياتهم إذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال:

{ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ }[النحل، الآية:١٢٧].

{ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ } { بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ }

{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ }

{ فَلاَ تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ } { وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ }

{ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ } { هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ }

{ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ } { عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ }

{ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ } { إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ }
{ سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ }
{ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ }
{ وَلاَ يَسْتَثْنُونَ } { فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ }
{ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ } { فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ }
{ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ }
{ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ } { أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِّسْكِينٌ }
{ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ } { فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ }
{ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ }
{ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ }
{ قَالُواْ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }
{ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاَوَمُونَ } { قَالُواْ يٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ }
{ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ }
{ كَذَلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }
{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ }
{ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ } { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }
{ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ } { إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ }
{ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ }
{ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ }
{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ }
{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ }

{ فستبصر ويبصرون } عند كشف الغطاء بالموت أيكم المجنون بالحقيقة، أأنت الذي كوشفت بأسرار القدر وأوتيت بجوامع الكلم أم هم الذين حجبوا عما

في أنفسهم من آيات الله والعبر وفتنوا بعبادة الصنم.

{ إنّ ربّك هو أعلم بمن } جنّ في الحقيقة فـ { ضلّ عن سبيله } واحتجب عن الدين وبمن عقل فاهتدى إليه، أي: لا يعلم أحد كنه جنونهم وضلالهم إلا الله لكونه في الغاية وكذا كنه اهتدائك واهتداء من اهتدى بهداك فلا توافقهم في الظاهر كما لا توافقهم في الباطن. فإن موافقة الظاهر أثر موافقة الباطن وكذا المخالفة وإلا كان نفاقاً سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء، وأما هم فلانهماكهم في الرذائل وتعمقهم في التلوين والاختلاف لتشعب أهوائهم وتفرّق أمانيهم وميول قواهم وجهات نفوسهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة إلى رذائلهم طمعاً في مداهنتك معهم ومصانعتك إياهم، فلا يفتننك كثرة أموال من كان أغناهم وكثرة قومه وتبعه فتطيعه وتصانعه مع كثرة رذائله، ودم على توافق الظاهر والباطن مستغنياً بالله مستظهراً به مصادقاً لمن صدقك مصافياً لمن وافقك مصاحباً لصعاليك المؤمنين الزاهدين في الدنيا { سنسمه على الخرطوم } أي: نغير وجهه في القيامة الصغرى ونجعل آلة حرصه مشاكلاً لهيئة نفسه كخرطوم الفيل مثلاً، ونبدّل أعز أعضائه بما فيه علامة غاية الذل لخسّة نفسه المنجذبة إلى ما في جهة السفل الجاذبة لمواد الرجس.

{ يوم يكشف عن ساق } أي: اذكر يوم يشتدّ الأمر وتتفاقم شدته بحيث لا يمكن وصفها بمفارقة المألوفات البدنية والملاذ الحسية وظهور الأهوال والآلام النفسية بالهيئات الموحشة والصور المؤذية { ويدعون } على لسان الملكوت للجنسية الأصلية والمناسبة الفطرية { إلى } سجود الإذعان والانقياد لقبول الأنوار الإلهية والإشراقات السبوحية { فلا يستطيعون } الانقياد والإذعان لقبولها لزوال استعدادهم الأصلي بالهيئات المظلمة واحتجابهم بالغواشي الجسمانية والملابس الهيولانية.

{ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ }

{ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ }

{ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ }

{ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ }

{ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ }

{ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ }
{ لَّوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ }
{ فَٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ }{ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ }
{ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ }

{ خاشعة أبصارهم } ذليلة متحيرة لذهاب قوتها النورية وعدم قدرتها على النظر إلى عالم النور وبعدها عن إدراك الشعاع مفيد السرور { ترهقهم ذلّة } الركون إلى السفليات والركود إلى خساسة الانفعاليات وملازمة الطبيعيات { وقد كانوا يدعون } عند بقاء الاستعداد ووجود الآلات { إلى } سجود الانقياد بتهيئة الاستعداد لقبول الإمداد من عالم الأنوار { وهم سالمون } الاستعداد متمكنون على إحراز السعادة في المعاد{ فاصبر لحكم ربّك } بسعادة من سعد وشقاوة من شقي ونجاة من نجا وهلاك من هلك وهداية من اهتدى وضلال من ضلّ { ولا تكن كصاحب الحوت } في استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب والاحتجاب عن حكم الربّ حتى ردّ عن جناب القدس إلى مقر الطبع { فالتقمه } حوت الطبيعة السفلية في مقام النفس وابتلي بالاجتنان في بطن حوت الرحم { إذ نادى } ربّه لقهر قومه وإهلاكهم لفرط الغضب عن مقام النفس لا بإذن الحق { وهو } ممتلىء غيظاً { لولا أن تداركه نعمة } كاملة { من ربّه } بالهداية إلى الكمال لبقاء سلامة الاستعداد وعدم رسوخ الهيئة الغضبية والتوبة عن فرطات النفس والتنصل عن صفاتها { لنبذ بالعراء } أي: بظاهر عالم الحسّ وطرد من جناب القدس بالكلية وترك في وادي النفس { وهو مذموم } موصوف بالرذائل مستحق للإذلال والخذلان، محجوب عن الحق، مبتلى بالحرمان، ولكنه اجتباه { ربّه } برحمته لمكان سلامة فطرته وبقاء نوره الأصلي فقرّبه إليه وجمعه إلى ذاته بإلقاء كلمة التوحيد إليه وإيصاله إلى مقام الجمع { وجعله من الصالحين } لمقام النبوّة بالاستقامة حال البقاء بعد الفناء في عين الجمع، والله تعالى أعلم.